



الحج المبرور

ملخص الخطبة

- ١- الأمة الخالدة. ٢- فضل الحج. ٣- أهمية الإخلاص. ٤- من بر الحج. ٥- فضل عشر ذي الحجة. ٦- ما يشرع في العشر من أعمال.

الخطبة الأولى

أما بعد: فاتقوا الله حقَّ التقوى، وراقبوه في السرِّ والنجوى، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران: ١٠٢].

خرجت هذه الجموع في موسم الحج تلبيةً لدعوة إبراهيم عليه السلام منذ آلاف الأعوام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ملبيين ضارعين مكبرين مهللين.

بنظرة واحدة إلى الجموع المؤمنة والحجيج الخشع المتجمعين من كل حدبٍ وصوب تتجلى حقيقة، حقيقة أن هذه الأمة مهما بلغ الكيد لها والمكر بها فإنها أمة خالدة بخلود رسالتها وكتابها، باقية ما بقي الليل والنهار.

إن الوافد إلى بيت الله قد تكفل الله بحفظه وسلامته، قال: ((ثلاث في ضمان الله: رجلٌ خرج إلى مسجد من مساجد الله، ورجل خرج غازياً في سبيل الله، ورجل خرج حاجاً)) أخرجه الحميدي في مسنده (١) [١].

أخي الحاج، إن لك في كل خطوة تخطوها أجراً لا يجلبه إلا قول المصطفى: ((ما ترفع إبل الحاج رجلاً ولا تضع يداً إلا كتب الله تعالى بها حسنة، أو محاً عنه سيئة، أو رفعه بها درجة)) أخرجه البيهقي (٢) [٢].

وحين تنطقُ بنداء التوحيد: "لبيك اللهم لبيك" فإنَّ الكونَ كلُّه معك يرددُ توحيدَ الخالق ويسبح بحمده، تلبّي الأحجار ويهتف المدر والأشجار، قال: ((ما من مسلمٍ يلبي إلا لبي من عن يمينه أو عن شماله من حجر أو شجر أو مدر، حتى تنقطع الأرض من ها هنا وها هنا)) أخرجه الترمذي (٣) [٣].

إذا سمع الحاج حديث رسول الله الذي أخرجه البخاري ومسلم: ((الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)) (٤) [٤] تشتاق نفسه لهذا الأجر العظيم والفضل الجزيل، فيتساءل: كيف يحقق الحج المبرور؟ قال ابن عمر رضي الله عنهما لمجاهد حين قال: ما أكثر الحاج!! قال: (ما أقلهم ولكن قل: ما أكثر الركب) (٥) [٥].



أخي الحاج، الحجُّ المبرورُ يتطلَّب إخلاصاً لله، فمن خرج من بيته متطلِّعاً إلى المدح والثناء والسمعةِ والمباهاة هبط عمله وضلَّ سعيُّه، قال تعالى في الحديث القدسي: ((من عمل عملاً أشرك فيه معيَ غيري تركته وشركه)) أخرجه مسلم(٦)[٦]. وكان يحذِّر من ضدِّ ذلك فيدعو مستعِيناً برَّبِّه قائلاً: ((اللهم حجةً لا رياء فيها ولا سمعة)) أخرجه ابن ماجه من حديث أنس بن مالك(٧)[٧].

المتلبِّسُ بالحجِّ يكون في غايةِ الذلِّ بين يدي الله، مطهراً قلبه من آفة العجب بالعمل، بل إنَّه يرى عمله مهما عظم صغيراً جداً أمام أنعم الله عليه من النعم.

تقام شعائرُ الحجِّ في مشاعر عظيمة وأماكن لها قدسيُّتها، ومن برَّ الحجَّ احترامها فضلاً عن الفساد أو مقارفة شيء منها. وإنَّ من الفطاعة وسوء الحال أن يستغلَّ أصحابُ النوايا السيئة هذه المناسبةَ العظيمة، ويتدنَّ بِقدسيِّتها، فيقدِّم إلى بلاد الحرمين لممارسة نوازعهم المدمِّرة، في تهريب السموم الفتاكة، ونشر المعتقدات الفاسدة، وترويج الأفكار المضلَّة، ونهب الأموال، قال تعالى: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدْفُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ [الحج: ٢٥].

من برَّ الحجَّ الاجتهادُ في موافقته لهدي النبي فيما قلَّ أو كثر، وعدم مخالفته لشيء من سنته عليه الصلاة والسلام، وقد نُقلت سنته لأمتِه في كلِّ موقف وقول، وكان يقول: ((خذوا عني مناسككم)) (٨)[٨]. والتساهل في السنن قد يؤدِّي إلى التساهل في الواجبات والأركان، وقد تتوالى الأخطاء التي قد تقسِد الحجَّ أحياناً، والخيرُ كلُّ الخير في تعلُّم هدي الرسول .

ومن برَّ الحجَّ التسليمُ للشارع، والانقياد لأوامر الله ورسوله، وحسن الاتباع فيما لم يُكشف عن معانيه ولو لم تُعلم الحكمة فيه، ها هو الفاروق عمر رضي الله عنه يقبلُ الحجرَ الأسود ويقول: (أما والله، إنني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنني رأيت رسول الله استلمك ما استلمتك) فاستلمه.

أخرجه البخاري(٩)[٩].

مال الحجِّ المبرور يجبُ أن يكون حلالاً طيباً، لأنَّ النفقة الحرام من موانع الإجابة، وفي الطبراني مرفوعاً: ((إذا خرج الرجلُ حاجاً بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه مناد من السماء: لبيك وسعديك، زادك حلال، وراحتك حلال، وحجُّك مبرور. وإذا خرج بالنفقة الخبيثة ووضع رجله في الغرز فنادى: لبيك، ناداه مناد من السماء: لا لبيك ولا وسعديك، زادك حرام، ونفقتك حرام، وحجُّك غير مبرور)) (١٠)[١٠].

أيامُ الحجِّ المبرور تُحيي بذكر الله، وتُضاء بتلاوة آياتِ الله، وتطهَّر بالاستغفار وبذل المعروف والدعوة إلى الله عز وجل، قال: ((الغازي في سبيل الله والحاجُّ والمُعتمر وفدُ الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم)) أخرجه ابن ماجه(١١)[١١]، وسئل رسول الله عن الحجِّ المبرور فقال: ((إطعام الطعام وإفشاء السلام)) أخرجه أحمد(١٢)[١٢].

ملء الأوقات بالطاعات تحصَّن الحجُّ من الآفات المهلكة ولصوص الحسنة، وتزيد الحجُّ برّاً،



فالأيامُ فاضلة، وتلك البقاع مفضّلة، وفيها تتضاعف الأجور، وقد كان سلفنا الصالح إذا تلبّسوا بهذه العبادة عطروا أوقانها بذكر وتسبيح وتهليل وتحميد.
سمة الحاجّ في هذه البقاع العظيمة السكينة والطمأنينة وسلوك أدب هذه الشعيرة بخفض الصوت وعدم الإزعاج وأذية المسلمين، والهدوء في العبادة والدعاء.
التلبية في الحجّ المبرور ذكرٌ لا ينقطع، فلها معانٍ لو استقرت في سويداء القلب فإنها تصبغ حياتك . أيها المسلم . ونقوم مسيرتك وتهذب سيرتك، إنها إعلان العبودية والطاعة والتذلل . لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك.
الصحبة الطيبة في الحجّ تقويك إذا ضعفت، تذكرك إذا نسيت، تدلك على طريق الخير وتحذرك طريق الشر.

من رام حجاً مبروراً امتثل قوله الذي رواه البخاري: ((من حجّ لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)) (١٣) [١٣]. نعم، من تطلّع إلى حجّ مبرور أدب جوارحه فلا تنظر العين نظرة فاحشة، ولا ينطق اللسان بألفاظ طائشة، ولا تمتد اليد بأذى إلى أحد، ولا ينطوي القلب على بغضاء أو حسد. حجّ مبرور يوقر فيه الكبير، ويرحم الصغير، ويؤاسي الضعيف، ويحافظ فيه على نظافة البدن والثوب والمكان، قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ [البقرة: ٢٢٢].
بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وفق من شاء إلى حجّ بيته الحرام. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام.
أما بعد: فاتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.
الله تعالى في بعض الأيام المباركة نفحات ينالها الموقفون من عباد الله، ومن تلك الأيام أيام عشر ذي الحجة، روى ابن عباس عن النبي أنه قال: ((ما العمل في أيام أفضل منها في هذه))، قالوا: ولا الجهاد؟ قال: ((ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء)) أخرجه البخاري (١٤) [١].

كان السلف إذا دخلت أيام العشر من ذي الحجة يجدون في البرّ والطاعة، ويكثر من الذكر والدعاء وتعظيم الله.

ومما هو مشروع في هذه الأيام الإكثار من صلاة النافلة والتهليل والتكبير والتحميد وقراءة القرآن



والصدقة على الفقراء والمساكين وإغاثة الملهوفين وبرّ الوالدين وقيام الليل وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

ومن ذلك صومُ غير الحاجّ ما تيسر له من أيام العشر، خاصة يوم عرفة لما في صحيح مسلم عن رسول الله أنه قال: ((أحتسب على الله أن يكفّر السنة التي قبله والسنة التي بعده)) (١٥) [٢].
ومما يُشرع تكبيرُ الله تعالى وتعظيمه، ويكون التكبير المطلق في جميع الأوقات من ليل أو نهارٍ إلى صلاة العيد، أما التكبيرُ المقيدُ فهو الذي يكون بعد الصلوات المكتوبة التي تصلّى في جماعة، ويبدأ لغير الحاجّ من فجر يوم عرفة، وللحاجّ من ظهر يوم النحر، ويستمرّ إلى صلاة عصرٍ آخر أيام التشريق.

ومما يشرع إعدادُ الأضحية، ومن أراد أن يضحيّ ودخل شهر ذو الحجة فلا يحلّ له أن يأخذ شيئاً من شعره أو أظفاره حتى يذبح أضحيته، ففي صحيح مسلم أن النبي: ((إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحيّ فليمسك عن شعره وأظفاره)) (١٦) [٣].

ألا وصلوا . عباد الله . على رسول الهدى، فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [الأحزاب:٥٦].
اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين...

-
- (١) مسند الحميدي (١٠٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه أيضا الفاكهي في أخبار مكة (٩٢٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢٥١/٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٩٨).
 - (٢) شعب الإيمان (٤١١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه ابن حبان (١٨٨٧)، وقال المناوي في الفيض (٤٣٥/٥): "فيه من لم أعرفه"، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١١٠٦).
 - (٣) أخرجه الترمذي في الحج (٨٢٨) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، وهو أيضا عند ابن ماجه في المناسك (٢٩٢١)، وصححه ابن خزيمة (٢٦٣٤)، والحاكم (١٦٥٦)، والألباني في صحيح الترغيب (١١٣٤).
 - (٤) أخرجه البخاري في العمرة، باب: وجوب العمرة وفضلها (١٧٧٣)، ومسلم في الحج، باب: في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة (١٣٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
 - (٥) أخرج نحوه عبد الرزاق في المصنف (١٩/٥).
 - (٦) أخرجه مسلم في الزهد (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
 - (٧) أخرجه ابن ماجه في المناسك (٢٨٩٠)، وهو أيضا عند الترمذي في الشمائل (٣٣٥)، وابن



- أبي شيبه في المصنف (٤٤٢/٣)، وأبي نعيم في الحلية (٣٠٨/٦)، وأشار إلى ضعفه المنذري في الترغيب (١١٦/٢)، وضعف سنده الحافظ في الفتح (٣٨١/٣)، ولكن له طرق تقويه، ولذا صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦١٧).
- (٨) أخرجه مسلم في الحج (١٢٩٧) من حديث جابر رضي الله عنهما بلفظ: ((لتأخذوا مناسككم ، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه)).
- (٩) أخرجه البخاري في الحج (١٥٩٧، ١٦٠٥).
- (١٠) [١٠] المعجم الأوسط (٥٢٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأشار إلى ضعفه المنذري في الترغيب (١١٣/٢-١١٤)، وقال الهيثمي في المجمع (٢٩٢/١٠): "فيه سليمان بن داود اليمامي وهو ضعيف"، وأورده الألباني في ضعيف الترغيب (٧١١).
- (١١) [١١] أخرجه ابن ماجه في المناسك، باب: فضل دعاء الحاج (٢٨٩٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وهو أيضا عند الطبراني في الكبير (٤٢٢/١٢)، وصححه ابن حبان (٤٧٤/١٠) (٤٦١٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١١٠٨).
- (١٢) [١٢] مسند أحمد (٣٢٥/٣، ٣٣٤) من حديث جابر رضي الله عنهما، قال الحافظ في الفتح (٣٨٢/٣): "في إسناده ضعف"، وقال الهيثمي في المجمع (٢٠٧/٣): "فيه محمد بن ثابت وهو ضعيف"، وهو أيضا عند الطبراني في الأوسط (٨٤٠٥) من طريق أخرى عن جابر بلفظ: ((إطعام الطعام وطيب الكلام))، قال أبو حاتم كما في علل ابنه (٢٩٧/١): "هذا حديث منكر، شبه الموضوع"، وحسنه المنذري في الترغيب (١٠٦/٢)، وهو في صحيح الترغيب (١١٠٤).
- (١٣) [١٣] أخرجه البخاري في الحج (١٥٢١، ١٨١٩، ١٨٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو أيضا عند مسلم في الحج (١٣٥٠).
- (١٤) أخرجه البخاري في الجمعة (٩٦٩).
- (١٥) أخرجه مسلم في الصيام (١١٦٢) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.
- (١٦) أخرجه مسلم في الأضاحي (١٩٧٧) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.